في غرس البذور الاولى لنشأة المسرح المحلي. وحسب ما أورد الناقد المسرحي والباحث د. ابراهيم غلوم، فان «المسرح كان يبدأ مستنبتاً، يفد من الخارج. ويتمثّل لنا ذلك الاستنبات، بالنسبة للبحرين والخليج العربي، في ان الاعمال المسرحية الاولى كانت تقام بجهد اعضاء البعثات التعليمية من المدرّسين العرب، ومعظمهم كان من مصر، أو سوريا، أو فلسطين»(٧).

فاذا ما عرفنا ان المسرح بدأ مع النصوص والموضوعات التاريخية، والاسلامية، كأي مسرح عربي، ثمّ انتقل، تدريجياً، الى الموضوعات السياسية والاجتماعية، تصبح «ظاهرة التجربة المسرحية ذات امتداد تاريخي وجغرافي»، ومرهونة بحجم، وسرعة، التفاعل العربي آنذاك، وحتى اليوم. بهذا المنظور، وبمبدأ التطوّر في سياقه العام، ندرك تماماً لماذا قدّم «النادي الاهلي»، في العام ١٩٤٨، مسرحية بعنوان «نخب العدو»؟ ولماذا قدّمت الفرقة التمثيلية المتنقّلة، التي تأسست سنة ١٩٥٥، على مسرح «نادي العروبة» ثلاث تمثيليات قصيرة، هي «الانسانية المشردة» و«الضمير» و«صرخة لاجيء»، معبّرة، جميعها، عن مأساة القضية الفلسطينية ببعدها العاطفي والاخلاقي؟ وتكرّرت، طوال تلك الفترة التاريخية، الموضوعات الفلسطينية على مسارح الاندية، أو المدارس، أو في اخراجات الاسكتشات الاذاعية، نتيجة سخونة الاحداث ومضاعفاتها في الشارع العربي. ثمّ حدث تراجع ملموس، وطمس كلّي لهذا الموضوع منذ أواخر الستينات حتى الثمانينات. ثمّ عادت، مجدّداً، ولكن اغلبها كان في اطار مسرحيات الاطفال التربوية، بنبرتها المزدوجة، التعليمية البائسة والمحرّضة والموقظة للمشاعر النائمة والمنسية. هذه الصورة المسرحية لاطفال الخليج حملت في طيّاتها الجوانب العاطفية والمؤلمة عن حياة الفلسطينيين وأطفالهم، الباعثين في تراجيدية الحياة على حالة الرثاء والعطف، مع ضوء خافت بعيد في الافق، جديد بالامل والثورة. ومع الانتكاس الثقافي في المسرح حول القضية المركزية، كنّا نبصر، بأعيننا، في تلك المرحلة، بقاء الواجهة الفلسطينية كحالة هامشية، في الظل والخلف، تذكّرنا بالمأساة مثلما نجدها في مسرحية الكاتب البحراني احمد جمعة «ابو نواس يرقص الديسكو»، حين وضع على الجدران، في خلفية خشبة المسرح ذات الابعاد الثلاثة، «صور فوتوغرافية كبيرة ملوّنة: مارلين مونرو، [و] ام فلسطينية أمام الخيام، [و] لوحة ملوّنة لأطفال، [و] جون ترافولتا، [و] لوحة لأمرأة عارية، [و] اعلان سجاير، [و] سيارات اميركية، بالاضافة الى عبارات بالانكليزية»(٨). وبهذا نرى القضية مهملة بين ركام الاشياء، ونمط الحياة الجديدة يكاد يبتلع ذاكرتنا ومواقفنا التائهة. وكان لهذا التراجع السياسي، على الصعيد الثقافي، أسباب موضوعية وذاتية، يتبوأ مكان الصدارة فيها قمع السلطة ومحاصرتها للنصوص المسرحية والثقافية. امّا العنصر الآخر، فانه بسبب التحوّلات العميقة التي حدثت في العقدين الاخيرين للمجتمع، والذي اثّر في نمط الحياة وسلوكيتها، وفي واقع الافراد والتجمّعات الثقافية. الّا ان روح الانتفاضة الفلسطينية المتفجّرة حرّكت الماء الراكد، واستنهضت المشاعر. فقد نفخت الانتفاضة من روحها في ذلك الرماد الذي يغطي قبور الموتى، حتى وجدنا ان الدم العربي المتجمّد في عشرات الناس، يتحرّك تارة بانفعال شديد، وطوراً بخجل متوار، لايقاظ الذاكرة «وتبكيت الضمير» والتأنيب الذاتي الى حدّ الفاجعة، فاهتزت ضمائرنا المعذبة وارادتنا المستلبة.

الصحافة البحرانية والقضية الفلسطينية

منذ فترة «النادي الادبي» الاولى (١٩١٣ ـ ١٩١٩)، ظلّت الحركة الثقافية في البحرين، ومن خلال الصحف العربية، تتواصل مع القضايا القومية، والاسلامية، في الوطن العربي. وكان ذلك مبعث قلق للسلطات البريطانية، التي كانت تشاهد، من قرب، ازدياد الوعي والسخط الاجتماعي على ما